

رافقنا القمر الى طريق عرفت فيما بعد أنها طريق المنفى . ولولاه — كما قلت لك —  
لنسعت عن والدي .  
— ماذا تذكر أيضا ؟

● أذكر أنني تعلمت السفر وحدي في سن مبكرة . سافرت أمي الى عكا فغضبت لانها  
تركتني . وكم كنت أحب عكا ! . كأنك أبعد نقطة في العالم قبل سنين . وصارت الآن  
— ويا للمفارقة — أبعد نقطة في العالم مرة أخرى . كنت أحمل خمس سنين وأمشي على  
الشارع الاسود في اتجاه عكا .

— وكيف عرفت الاتجاه ؟

● كان الشارع المعبد السائر نحو الغرب لا يعني الا السفر الى عكا . كان الحر شديدا  
فبكيت من الشمس والعطش . وجلست مرارا لاستريح . فكرت بالعودة فخلت من  
الهزيمة .

— ماذا كانت تعني الهزيمة لك ؟

● أن أطلب شيئا ولا يتحقق . أن أبدأ ولا أكمل . وأكملت طريقي الى عكا . ووقفت عند  
مدخلها أمام مفترق طرق . كان استخدام الاتجاه الذي جئت منه ساقطا من حسابي .  
جربت الاتجاه الجنوبي فأوصلني الى هضبة رملية تطل على البحر . ليست أمي هنا .  
فعدت الى المفترق . جربت الاتجاه الشمالي فكان يقود الى بيروت . وليست أمي هناك .  
فعدت الى المفترق . جربت الاتجاه الغربي فأوصلني الى قلب المدينة . دخلت مكانا  
وظللت ماء فأسقوني وسألوني عن أبيحت فقلت : أبحث عن أمي .

— كيف يبحث طفل قروي عن أمه في مدينة مزدحمة ؟

● كما فعلت أنا . كنت واثقا من أنني سأجدها بين آلاف الوجوه ، ولولا خوفي من المساء  
الذي صار يقترب لما عدت الى القرية وحدي . ولكن طفلا في الخامسة لا بد وان يهزم .  
عدت الى مفترق الطرق واستعملت الاتجاه الذي جئت منه خائبا . خشيت من الليل  
انتقام من السهل فوقفت على حافة الشارع . وثقت سيارة ثمحن وسألتني الى أين أنا  
ذاهب ، فقلت الى البروة . كانت أمي في البيت ، وكان أهل البيت والجيران يبحثون عني  
في كل آبار القرية . حين يضيع الطفل فلا بد أن يكون قد سقط في بئر . بكت أمي وبكيت  
معها ، وحين أكملت فرحتها ضربتني فأخذني جدي وأعطاني حلوى . . وانتهى سفري  
الاول .

هذا هو طعم عكا الاول . دائما أبحث فيها عن شيء لا أجده . فتشت فيها عن أمي فكانت  
قد عادت الى القرية . وبعد سنين فتشت فيها عن حبيبتني فكانت تزف الى رجل آخر .  
وفتشت فيها عن عمل كان الفقر يلاحقني . وفتشت فيها عن شعبي فوجدت الزنزانة  
والضابط الوقح . كانت آخر حدود العالم ، وأولى المحاولات والخيبة . وكان سورها  
يتآكل في الزمن .

— تذكر شيئا آخر عن بداية العالم ؟

● أذكر شكلا غامضا ساعدني على الاستعانة بالخيال والحلم . كان الواقع يتعرض  
لعملية انقطاع قبل أن يأخذ شكله النامي في وعيي . وفي ظروف لاحقة كان لزاما علي